وتكتمل الصورة حين نعرف ان الفالاشا انفسهم غاضبون. ففي ١٩٨٥/١/٦ رفض الفالاشا مقابلة المئات من الصحافيين الذين يحضرهم رجال الوكالة اليهودية، وذلك، لان الغضب يتملكهم والقلق يساورهم. وقد تظاهر الفالاشا مرتين؛ مرة بقيادة حاخامهم يوسف حداني للمطالبة بفتح تحقيق عن اسباب فضح العمليّة؛ ومرة اخرى امام الكنيست والوكالة اليهودية للاعراب عن سخطهم على قرار ايقاف العملية(١٩).

ولعله من الجائز القول ان عملية الفالاشا فتحت ملف الصهيونية من الفه الى يائه؛ فقد اريد لهذه العملية، من جملة ما اريد لها، ان تحقق ضربة اعلامية كبرى وان تنفي تهمة العرقية عن الصهيونية وتبيض صفحتها وتجدد شبابها؛ الا ان تطوراتها اللاحقة كشفت ان الاخوة الدينية المزعومة والمبادىء الايديولوجية لاتصمد امام امتحان الواقع القائم في اسرائيل، امام ميزان المصالح، بل بالاحرى ميزان الحياة. ولن تستطيع الكلمات، مهما كانت درجة حرارتها، ان تبعث الطمأنينة في النفوس القلقة التي تصدمها مرارة الواقع وجفاف العلاقات الطبقية العنصرية ما بين اشكنازي وسفاردي، وابيض واسود، ويهودي عربي... الخ.

عن عملية موسى: الرمز والدلالة

في هذه العملية، التي يبدو ان اكثر من طرف متورط فيها، تكرر الاجهزة الصهيونية تجربتها في استجلاب اليهود عن طريق صفقات تجريها مع بعض الحكومات، وتكرر فيها نفس المعزوفة، وربما بكلماتها نفسها، عن عملية انقاذ واسعة وانسانية لمجموعة بشرية مضطهدة، وان الواجب الانساني يحتم على الصهيونية، في هذه الحالة، اقتلاعهم من تربتهم وجذورهم وجوّهم الطبيعي وزرعهم في ارض الميعاد والاجداد كي يبدأوا هناك عملية اندماجهم الشاقة والمضنية، وربما المستحيلة، في التجمع البشري الذي يستوطن فلسطين العربية، والمؤلف من هويات وكيانات هي الى التناقض والتنافر اقرب. وفي حالة ما اذا كان القادمون من اليهود غير الاشكناز (كيهود اليمن او الهند)، فالمشكلة التي تنشأ امامهم كبيرة جدا. ففي حين انهم اتوا، بحسب الرواية الرسمية، ليتحرروا من الاضطهاد والعذاب والدونية الاجتماعية في مساقط رؤوسهم، لا يجدون امامهم سوى اسفل السلم الاجتماعي، لا لكي يبدأوا التسلق والصعود، بل لكي يمكثوا فيه.

انهم، بكلمات ثانية، يبدأون رحلة معاناة واستلاب مضاعفة. ففي حين يجددون ثقافتهم التقليدية ويزدادون تمسكا بها ويعملون على احيائها بطريقة مبالغ فيها، ولكن مفهومة ـ وهذا بحد ذاته دلالة على عدم اندماجهم، وعلى صعوبات هذا الاندماج، وعلى حنينهم لبلادهم التي خرجوا منها ـ كردة فعل منطقية حيال الظروف الجديدة، عليهم «الاندماج» في الكيان العام لليشيوف الصهيوني في اسرائيل: ان يتأقلموا مع نظام صلب، قليل المرونة ومنغلق لدرجة يستحيل عليهم فيها سوى ان يزدادوا تماسكا فيما بينهم وان يتحولوا تدريجيا الى طائفة او ما يشبه الطائفة المنغلقة على نفسها، اي ان يكرروا تجربة العصور الوسطى في قلب الدولة العبرية العصرية والحديثة. وهذا واضح، مثلا، لدى يهود العراق، او اليمن، وبشكل خاص لدى يهود المغرب، ان لم نتحدث عن يهود بولونيا وغيرهم...

من هنا، يتخذ الاصرار على عملية «تهويدهم» دلالة رمزية زاخرة بالمعاني. انها اشارة واضحة الى حياتهم الجديدة في «بلادهم» التي «يعودون» اليها. فهم ليسوا مقبولين. هم ليسوا